Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموضوع حيًّا مثل الكائن العضوى الحى فهذه فكرة لا مجال لها فى حدود المذهب الترابطى الذى رسم لنا صورة سلبية تماما للعقل . وهكذا وجد كولردج ظاهرة فى الشعر الرائع تعجز المدرسة الترابطية عن تفسيرها . هذه الظاهرة سماها كولردج « الخيال » ، أما الظاهرة الأخرى التى تستطيع الترابطية تفسيرها والتى تظهر فى الربط التعسفى بين الموضوعات فقد أطلق كولردج عليها اسم (التوهم) . ولعل هذا يفسر لنا لماذا هو يهتم دائما بتوضيح الفرق بين « الخيال » و « التوهم » ، فالمسألة عنده ليست مجرد فرق بين ضربين من الشعر ، وإنما هى أعم من ذلك بكثير . إنها مسألة الفرق بين نظرتين مختلفتين فى الإنسان ، نظرة مادية آلية سلبية ونظرة روحية خلاقة (٤٦) .

وهكذا كان القلق تجاه التصور السائد للخيال ، ثم استيعاب منابع شاعرية وردزورث ، ونشاط المباحث النفسية فى تلك الفترة ، وراء أهم ما قدم كولردج لحركة النقد الحديث ، وهو تعريفه وتحليله للخيال : « إننى أعتبر الخيال إذن إما أوليًّا أو ثانويًّا . فالخيال الأولى هو فى رأيى القوة الحيوية أو الأولية التى تجعل الإدراك الإنسانى ممكنا ، وهو تكرار فى العقل المتناهى لعملية الخلق الخالدة فى الأنا المطلق . أما الخيال الثانوى فهو فى عرفى صدى للخيال الأولى ، غير أنه يوجد مع الإرادة الواعية . وهو يشبه الخيال الأولى فى نوع الوظيفة التى يؤديها ، ولكنه يختلف عنه فى الدرجة وفى طريقة نشاطه . إنه يذيب ويلاشى ويحطم لكى يخلق من جديد . وحينما لا تتسنى له هذه العملية فإنه على أى حال يسعى إلى إيجاد الوحدة ، وإلى تحويل الواقع إلى المثالى . إنه فى جوهره حيوى على حين أن الموضوعات التى يعمل بها (باعتبارها موضوعات) فى جوهرها ثابتة لا حياة فيها . أما التوهم فهو على نقيض ذلك لأن ميدانه المحدود والثابت ، وهو ليس إلا ضربا من الذاكرة تحررٌ من قيود الزمان والمكان وامتزج وتشكل بالظاهرة التجريبية للإرادة التى نعبر عنها بلفظة « الاختيار » ويشبه التوهم الذاكرة فى أنه يتعين عليه أن يحصل على مادته كلها جاهزة وفق قانون تداعى المعانى »(٤٧) ويعود كولردج مرة أخرى – فى نقده لشكسبير – إلى الخيال الثانوى ، مظهرا جوهريته بالنسبة للإبداع الفنى ، فيقول : الخيال هو القوة التى بواسطتها تستطيع صورة معينة أو إحساس واحد أن يهيمن على عدة صور أو أحاسيس (فى القصيدة) فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر . هذه

(٤٦) محمد مصطفى بدوى : كولردج ص ٨١ – ٨٣ .

(٤٧) السابق ص ٨٧ ، ٨٨ وص ١٥٦ ، ١٥٧ والنظرية الرومانتيكية ص ٢٤٠ وما بعدها .